مصطلح (le monologue intérieur) في الخطاب النقدي لـــــ (عبد الملك مرتاض)

– قراءة نقدية –

أ.بوجملين مصطفى
أ.د أحمد موساوي
جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)

Summary:

Narrative terms form a large space of critic writings of (Abdelmalek Mertad), and this was the reason having motivated us to track some narrative terms namely the interior monolog.

Our critical reading shall focus on a basic research question leading to main names of the term by the critic.

Résume:

Le terme narratif a constitué un grand espace dans les écritures critiques de (Abdelmalek Mertad) ; ce qui nous a poussé a suivre l'un des termes narratifs qui ont été cités car nous précisons spécialement le terme (monologue intérieur).

Ceci dit ; notre lecture critique repose à travers une question centrale qui est la suivante : quelles sont les dénominations auxquelles le critique prècitè le terme narratif étranger (le monologue intérieur) ?

ملخص:

شكّل المصطلح السردي فضاء كبيرا في الكتابات النقدية لـــــــ(عبد الملك مرتاض)؛ وهذا ما حفّزنـــا علـــى تتبّـــع أحـــد المصطلحات السردية التي توالى ذكرها فيها؛ ونقصد –تحديدا– مصطلح (monologue intérieur).

عليه، فإنّ قراءتنا النقدية تتأسس عبر إشكال مركزي مؤداه الآتي: ما أبرز المسمّيات التي خصّها الناقد للمصطلح السردي الأجنبي (monologue intérieur)؟

لا مراء في أنّ السبيل إلى العلوم والمعارف لا يتأتي إلا عبر مصطلحاتها الدالة عليها، إذ «لـــيس مـــن مســـلك يتوسل به الإنسان إلى منطق العلم غير ألفاظه الاصطلاحية، حتى لكأنها تقوم من كل علم مقام جهاز من الدوال ليســـت مدلولاته إلا محاور العلم ذاته ومضامين قدره من يقين المعارف وحقيق الأقوال»[1].

بهذا، فإنّ الأهمية المسيسة بالمصطلح تقود بالضرورة إلى حتمية النظر في تشكّلاته اللغوية؛ إذ إنّه «نتاج خليّـــة اللّغة، قد تلفظه الخليّة، وقد يصبح أحد شغالاتها، وقد يصير ملكتها، فهو حيّ ما حيت اللّغة ما لم يكن باعث حيويتها ما دعت الحياة إلى ذلك))[2].

لا غرو في أنّ المصطلح قد صوّغ «كثيرا ما يمرّ بفترات من المخاض على لسان القلم الواحد فترى الباحث يراود المفهوم مراودة تلو المراودة، مرّة بقالب لغوي تقريبي، ومرّة أخرى بمحاصرته أكثر))[3].

إنّ كشف الغطاء عن المقابلات المصطلحية لهذا المصطلح السردي الأجنبي (Monologue) عند (عبد الملك مرتاض) لا يستقيم إلا بالنظر إلى جملة التخريجات اللغوية التي خلص إليها بعض النقدة العرب عبر مختلف الآليات الاصطلاحية التي راهنوا عليها في التقعيد المصطلحي؛ سواء أكان ذلك مثبتا في معاجمهم الاصطلاحية المتخصّصة أم في كتاباتهم النقدية؛ إذ نؤسس لهذا القراءة النقدية وفق الآتي:

لقد عمد الناقد (سعيد علوش) إلى التعامل مع مصطلح (Monologue) وفق آلية(التعريب)؛ إذ جعل هذا المصطلح الأجنبي مقابلا لمفردة (مونولوك)، وقد عرّفه وفق المؤطر المفهومي الآتي: «نشاط أحادي لمرسل في حضور مستمع حقيقي أو وهمي»[4].

على هذا الأساس فإنه يتخذ عنده «وضعية حوارية يتكلم فيها شخص واحد، بينما ينصت الآخر»[5].

في هذا الصدد يفصح (سعيد علوش) قائلا:« وغالبا ما يقع خلط بين "المناجاة" و"المونولوك" بشكل تعسفي، ففي علاقتها بالحوار " نقول : إنه يفكر وحده"، ومع اللغة الداخلية " نقول: إنه يفكر بصوت عال "»[6].

انطلاقا من هذه التخريجات المصطلحية العربية التي خصَها سعيد علوش لمصطلح (Monologue)؛ فإنّه يقدّم كذلك التعريف المفهومي الشامل له؛ فهو عنده «الخطاب الموجَه للذات نفسها»[7].

أمّا الناقد (بدر الدين عرودكي) فإنّه يقترح مصطلح (المونولوج) في صيغته المعرَبة، مع إضافته لصفة (الداخلي) –أو الجواني– التي تسمه مفهوميا؛ إذ يكشف عنه بقوله :« يجتاز المونولوج الداخلي في رواية " أوليس " لجويس كل الرواية ، إنه الأساس الذي يقوم عليه بناؤها ، والعنصر التقني السائد »[8].

أمّا الناقد (تيسير محمد الزيات) فإنّه يعتد بآلية (الترجمة)؛ حيث يترجم هذا المصطلح الأجنبي بـ(الحوار الداخلي)، حيث «يكون الصوتان لشخص واحد، أحدهما هو صوته الخارجي العام والآخر هو صوته الداخلي الخاص الذي لا يسمعه أحد غيره، (...) فيضيف بعدا جديدا يتمثل في لفت المتلقي إلى صوت آخر مقابل يغريه»[9].

إن كان هذا شأن القراءات النقدية العربية لمصطلح (Monologue)، فإنّ القضية الأساس تتلخص عندنا في تقريب مظاهر هذا المصطلح في شقيه (اللغوي/المفهومي) عند الناقد (عبد الملك مرتاض) قصد القبض على تلك الدوال المصطلحية المثبّتة في خطاباته النقدية، ومعرفة مدى ثباتها أو توترها داخلها.

عليه، فإنّنا القراءة النقدية المسحية لجملة المدوّنات النقدية لـ(عبد الملك مرتاض) التي أفردت قسما مهما للمصطلح السردي؛ –أو لنقل معجما سرديا ثرّا–، قد خلصت بنا إلى استنطاق بعض المصطلحات السردية المترجمة للمصطلح الأجنبي (Monologue)؛ حيث تتأكّد عندنا في المصطلحات السردية الآتية: (المناجاة/النجوى/ المناجاة الذاتية/ مونولوج).

إنّ الملاحظ لهذه المصطلحات المترجمة من لدن الناقد (عبد الملك مرتاض) يدرك أنّه قد اعتدّ بتقنية (الإحياء)؛ التي تسنح بنقل المفردة من ركام المعجم (القديمي / التراثي) قصد مقابلتها بالمفردة المصطلحية الجديدة الوافدة؛ وهذا ما يحتّم علينا منهجيا أن نؤسس لهذه القراءة النقدية المصطلحية عبر الحديث عن الترجمة، والتعرض إلى إشكالاتهم – بشكل مقتضب– ثمّ التعريج على تقنية (الإحياء)؛ التي راهن علينا الناقد (عبد الملك مرتاض) في تخريجاته المصطلحية.

بناء على ذلك، فإنّ (مدارستنا/قراءتنا) النقدية –ههنا– تتلخص في التعرية عن أهمية الترجمة في الدرس المصطلحي؛ ثمّ التعرض إلى تقنية الإحياء–التي اعتدّ بها الناقد (عبد الملك مرتاض)–؛ وهذا ما نوضّحه في الآتي:

لا محالة في أنّ (الترجمة) جسر لتلاقح الحضارات والثقافات والمعارف المخصوصة بشعوب المعمورة؛ إذ أضحت –على حدّ تعبير (عبد الرحمان مزيان)–« تلك الوسيلة التي يمحي فيها الأجنبي من أجنبيته وينفلت من خلالها

الغريب من غربته. فهذا النّص الوارد الأجنبي يتحوّل بفعل البنيات اللغوية إلى بنية ذاتية في نصّ اللغة المستضيفة))[10].

كما يتابع المترجم (عبد الرحمان مزيان) تقصّيه عن حقيقة العمل الترجمي؛ فيخلص بنا إلى قوله: «فلا الترجمات نهائية ولا المترجمون يحصون، ولا أيضا النّصوص منتهية، كل شيء في الحقل الترجمي قابل للتجدّد والتبدّل والتحوّل))[11].

إنّ هذه القراءة العميقة المتبصّرة لمسألة (الترجمة) عند (عبد الرحمان مزيان) تنمّ حقيقة إلى إشكالية القبض على المفردات ومعانيها (النهائية /المحدّدة/ المضبوطة)؛ لأنّ المسمّيات تظلّ متغيّرة متحوّلة متجدّدة حسب المعطيات (العلمية/السياقية).

كما أشار الناقد (محمد صابر عبيد) إلى إشكالات ومخاطر ترجمة منظومة النظرية الغربية (الفكرية/ الفلسفية/ المعرفية/ النقدية)؛ حيث يؤكد الناقد على مزالق المثاقفة السلبية مع فكر الآخر الغربي – أو إعادة الإنتاج باصطلاحه–، الذي أحدثتها اللعبة الترجمية الفادحة، وهذا ما يجلّيه قوله: «الكثير من المترجمين على هذا الصعيد لعبوا لعبتهم الفادحة – ربّما عن غير قصد– في قيادة هذه الممارسة الخطيرة قيادة خاطئة، على النحو الذي أسهم في صناعة جيل من النّقاد تبنّوا نظريا ما قدّمته لهم هذه الترجمة ليقعوا في وهم النظرية المزوّرة، ويبنوا الكثير من إجراءاتهم في حقل التطبيق الميداني على إشكالات هذا الوهم وما تمخّض عنه من نتائج عميقة))[12].

إنّ هذه المزالق الترجمية –إن جاز وصفها–، والتي نعتت إشكالاتها بالوهمية عند الناقد (محمد صابر عبيد)، قد جعلت النقاد العرب متحرّين لأصول (المفرد/النّص) المنقول؛ ومثبّتين في الآن ذاته الترجمة العربية مع الرسم اللغوي الأجنبي لها. ولعلّه من جملة أولئك النقاد (عبد الملك مرتاض)؛ حيث يقول في هذا الصدد: «لم يفتأ أثناء ذلك، أن نثبت أصول المصطلحات النقدية بما يقابلها في اللغة الفرنسية خصوصا. مثلها مثل بعض العبارات التي تتراءى لنا غامضة لدى الترجمة فإنّنا أثبتنا ما يقابلها في أصلها ابتغاء تيسير الأمر على القارئ))[13].

كما نقف عند مقولة مهمة للناقد في هذا السياق؛ والتي يشدّد من خلالها الناقد على ضرورة الحذر، والتزام الدّقة عند التعامل مع المصطلح النقدي، وهذا ما نفهمه من قوله: «لا بدّ من الإقلاع عن هذا التبسيط، أو عن هذا التساهل في التعامل مع المصطلح النقديّ العربي المعاصر، فإذا نحن نكاد نطلق على كلّ شيء أيّ شيء، ممّا لا يليق به، ولا يتلاءم معه؛ فقد اضطربت مفاهيمنا وتهوّشت، ومن ثمّ اختلفت تصوّراتنا عن تصوّرات المفاهيم الحقيقيّة، في أصل وضعها المعرفيّ لدى أهل العلم من الغربيّين الذين هم منتجوها وهم مبتكروها، والذين هم مستعملوها وهم مروّجوها، وعلينا نحن أن نقرّ بالفضل لأهله، إذ لسنا إلا مجرّد متطفّلين عليهم بالعمد إلى ترجمتها بشيء غير قليل من التسرّع والتساهل والتعميم، حتّى لا أقول من الفطيريّة والفجاجة، فتغيب الصرامة المفهوميّة، وينعدم التصوّر الدقيق لها))[14].

أمّا بما يختصّ بتقنيّة (الإحياء)؛ فإنّه لا غرو في أنّها شكّلت فضاء رحبا في المجال المصطلحي؛ ذاك أنّها ترفع من رصيد المفردات المصطلحية؛ فهي في أبسط تعاريفها «ابتعاث اللفظ القديم ومحاكاة معناه العلمي الموروث بمعنى علمي حديث يضاهيه))[15].

أمّا الناقد (يوسف وغليسي) فإنّه ينظر إلى ميكانيزما (الإحياء)، عبر كونها « مجابهة الحاضر باللجوء إلى الماضي، للتعبير بالحدود الاصطلاحية التراثية عن المفاهيم الحديثة))[16].

فيما يتعلّق بالناقد المغربي (محمد عابد الجابري) فإنّه يؤطر تقنية الإحياء وفق المحدّد التعريفي الآتي: «استعمال المصطلح التراثي، أو إعماله، للتعبير عن معطيات الحضارة الحديثة عملية محفوفة بالمخاطر إذا ما تمّت على وجه الاستعجال وتحت ضغط الظروف. فالمصطلح التراثي في هذه الحالة، المشدود إلى مرجعية خاصة تختلف تماما عن

مرجعية المعطيات الحضارية الحديثة، قد يفقد هذه المعطيات حداثتها ويفرغها من مضامينها الجديدة ليشدّها إلى مضامين مغايرة تماما))[17].

لقد نبّه الناقد (علي القاسمي) إلى خطورة الاستغناء عن المصطلح التراثي، وجعل الدخيل بديلا له، حيث يقول: «إذا كانت اللغة تتوفّر على مصطلحات في تراثها، وعمدنا إلى إغفال تلك المصطلحات وإهمالها، وعملنا على وضع مصطلحات جديدة تعبّر عن ذات المفاهيم التي تعبّر عنها تلك المصطلحات التراثية، فإنّ ذلك سيؤدي إلى إحدى نتيجتين لا مفرّ منهما أو كلتيهما: إمّا انقطاع تواصل اللغة وانفصام استمراريتها، وإمّا ازدواجية مصطلحية لا تخدم غرضنا في التعبير الدقيق والتفاهم السريع))[18].

كما حدّد الناقد أفضلية المصطلح التراثي في الوضع الاصطلاحي، وهو ما يؤكده قوله: «لهذا كله فمن الأفضل العودة إلى التراث لاستكناه مصطلحاته والاستفادة منها في التعبير عن أغراضنا المستجدّة))[19].

بهذا فإنّ العودة إلى الإرث اللغوي العربي القديم قصد النبش في معجمه المثخن (مصطلحيا/مفهوميا) أضحت حاجة مسيسة للناقد العربي المعاصر؛ حيث نقف أمام مقولة (الكرملي) التي تؤيد هذا التوجه اللغوي، فنراه جاعلا من الكلمة التراثية الأصل في الوضع الاصطلاحي، وهو ما نفهمه من قوله: «فعلى اللغويّ أن يسدّ حاجات العصر بالرجوع إلى ألفاظ الأقدمين إذا وجدت وإلا يعمد إلى الاشتقاق أو المجاز))[20].

في ضوء ما سبق، فإنّنا سنبرز الترجمات التي خصّها الناقد (عبد الملك مرتاض) لهذا المصطلح السردي الأجنبي الوافد حيث يتأتى ذلك في الآتي:

أ/ المناجاة:

إنّ الكشف عن تمظهرات مصطلح (المناجاة) في الخطاب النقدي لـ(عبد الملك مرتاض) قد جعلنا نستوقف عند كتابه (في نظرية الرواية)؛ حيث تجليه المقطّع النصّي الآتي: «لغة المناجاة في الكتابات الروائية العربية ، يمكن أن تشبه لغة الحوار إذا راعينا النزعة النقدية العربية التي تدعي الواقعية في الأدب ، وذلك لأن الشخصية حين تتحدث حديث النفس يمكن أن يراعى فيها ما لها من ثقافة وعلم (...) ، فإن كانت شخصية مثقفة متعلمة، فإن الحديث يكون على مقدار مستواها وإن كانت غير متعلمة فحديث نفسها يكون على مقدار جهلها »[21].

بما أن الناقد (عبد الملك مرتاض) قد سعى إلى تطبيق آلية (الإحياء)، والتي تمثّل –في نظرنا– إسعاف الدال العربي القديم من ركام المعجم اللغوي التراثي واستحداثه معرفيا ليجابه المصطلح الأجنبي الحديث (Monologue)، مع تبرير مقتضب له فحواه أن (المناجاة) تكشف حديث النفس، الذي هو في طبيعته جوّاني –داخلي–، دون محاولة منه إلى التدليل على هذا التبني المصطلحي المبتدع، كما هو الحال عند الناقد (سعيد علوش)؛ الذي أثبت بدوره مصطلح (المناجاة)؛ لكنّه أضاف له اللمسة النقدية المصطلحية؛ والمتمثّلة في مصطلح (مونولوك)؛ وهو بذلك يقترح مصطلحا سرديا عربيا مغايرا عمّا سبقه من معاصريه.

إن سلمنا جدلا بغموض هذا المبدأ التمييزي الذي أقام بناءه الناقد (سعيد علوش)، لكن هذا لا يمنع من أن يكون الناقد قد رمى إلى تأطير الحدود المفهومية للمصطلحين في مسعى اجتهادي مبرر لدينا.

أمّا الناقد (سعيد الغانمي) فإنه أبقى على مصطلح (المناجاة)، لكنه أردفه بصفة الفردية، وبذلك يخلص إلى المصطلح المقابل للفظ الأجنبي والمتمثل عنده في (المناجاة الفردية) وهذا ما جاء في قوله : « وحتى المناجاة الفردية – أي خطاب الشخص المتوحد– هي حوار مع الذات أو استشهدنا بأفلاطون مرة أخرى فالمناجاة (Dianoia) إذا هي حوار الروح مع نفسها»[22].

أمّا عن مرجعية المصطلح وتأثيله من لدن العارفين بشؤونه، فقد أوضحها الناقد (عبد الملك مرتاض) في كتابه النقدي الموسوم بـ : (تحليل الخطاب السردي)، بقوله : «ولقد أخذ الغربيون مصطلح (Monologe interieur) من مقطعين اثنين علمانيين (Mono) ويعني في الإغريقية : واحدا أو وحيدا أو فريدا ، و(Logo)، وهو مقطع علماني يعني " عقلا " أو " تفكيرا " ، أو " خطابا " »[23].

كما سعى الناقد إلى التحديد المفهومي للمصطلح – الذي عاينه وفق تأصيله الأولي–، فحرص على تقديم قراءته النقدية لظلال المصطلح، قصد مكاشفته والنبش على مفاهيمه الدالة عليه، وهذا ما يوضّحه قوله :« يبدو أن هذا الإطلاق الغربي في أصل الوضع، لا يعني في حقيقته الحديث إلى النفس بصوت خافت، أو بدون صوت البتة ، قد ما يعني مظهر من الانعزالية والوحدة . وهو شأن من الدلالة لا يكاد يعني شيئا ذا بال لولا قوة الاصطلاح والتواضع، وشيوع التفهم الناشئ عن دورانه بينهم بمفهوم حديث النفس للنفس »[24].

اقترح الناقد (عبد الملك مرتاض) ترجمة المصطلح الأجنبي (monologue intérieur) بـ(المناجاة)، لات حديثه عن انجاز الناقد (أندري جيد) في مجال البنية الروائية الجديدة، وتحديدا كتابه (مزيفو العملة) Les faux-mamayeurs)،

وبيان ذلك قوله: «بفضل المشكّلات الجديدة التي أدخلها على الكتابة الروائية في هذا العمل المميّز، ومنها ما نطلق عليه نحن مصطلح "المناجاة"، وذلك مقابل المصطلح الغربي(le monologue intérieur)))[25].

أمّا في كتابه (تحليل الخطاب السردي) فقد عرج الناقد (عبد الملك مرتاض) إلى مصطلح (المناجاة) معرفا إيّاها وفق التحديد الآتي: «حديث النفس للنفس، واعتراف الذات للذات، لغة حميمة تدس ضمن اللغة العامة المشتركة بين السارد والشخصيات ، وتمثل الحميمية والصدق والاعتراف والبوح»[26].

لم يكتف الناقد بهذا التحديد؛ بل ارتأى أن يرجع إلى البواكير الأولى لنشأة هذا المصطلح، والذي أوضحه في قوله : «ويبدو أن أول من أنشأ هذا المصطلح هو الأديب الفرنسي إدوار دي جردان (وهو صديق الشاعر الفرنسي مالارمي Mallarme) في روايته " الزندات قطعت " (...)، وهو إجراء جديد في الكتابة السردية ، ولعله استعمل تحت تأثيرات علم النفس»[27].

يكشف الناقد في سياق آخر عن لغة (المناجاة) بالقول : «لغة المناجاة في الكتابات الروائية العربية، يمكن أن تشبه لغة الحوار إذا راعينا النزعة النقدية العربية التي تدعي الواقعية في الأدب، وذلك لأن الشخصية حين تتحدث حديث النفس يمكن أن يراعى فيها ما لها من ثقافة وعلم (...) ، فإن كانت شخصية مثقفة متعلمة، فإن الحديث يكون على مقدار مستواها ، وإن كانت غير متعلمة فحديث نفسها يكون على مقدار جهلها »[28].

بما أن المنزع التراثي قد بدا جليا في تبني (عبد الملك مرتاض) للمصطلح العربي التراثي، فإننا نلفيه لا يحيد عن المنحى المرجعي –في نظرنا–، وذلك عبر توظيفه لدال (جواني) بديلا للفظة (داخلي) في سياق توصيفه لمصطلح (المناجاة)، وهذا ما دل عليه قوله : «المناجاة في حد ذاتها خطاب (...) يتسم حتما بالسردية : الأول جواني والثاني براني»[29].

بذلك فإننا نقرأ تفضيله للفظة (جواني) على مفردة (داخلي) يرجع –في نظرنا– إلى قرب الرسم الحرفي لدال (جواني) إلى مصطلح (المناجاة) منها إلى (داخلي)؛ حيث لا تجد فونيمات(داخلي) وشائج قربى مع المصطلح السابق.

يتكرر ذكر مصطلح (المناجاة) في كتابه النقدي (تحليل الخطاب السردي)؛ وهذا ما نقرؤه في قوله: «المناجاة في حدّ ذاتها خطاب مضمّن داخل خطاب آخر يتّسم حتما بالسردية: الأوّل جوّاني، والثاني برّاني، ولكنّهما يندمجان معا اندماجا تامّا، فيذوب الأول في الثاني، والثاني في الأوّل: لإضافة بعد حدثيّ، أو سردي، أو نفسي، إلى الخطاب الروائي))[30].

في سياق التفصيل في مصطلح (المناجاة) يذهب الناقد (عبد الملك مرتاض) إلى القول: «يبدو لنا أنّ هذا الإطلاق الغربي، في أصل الوضع الأوّل، لا يعني في حقيقته الحديث إلى النفس بصوت خافت، أو بدون صوت البتّة، قدر ما يعني مظهرا من مظاهر الانعزالية أو الوحدة. وهو شأن من الدلالة لا يكاد يكون يعني شيئا ذا بال لولا قوة الاصطلاح والتواضع، وشيوع التفهّم الناشئ عن دورانه بينهم بمفهوم حديث النفس للنفس))[31].

يستقر الناقد (عبد الملك مرتاض) على مصطلح (المناجاة)؛ حيث نلفي ذلك في سياقات نصّية[*] عدّة من دراسته (النقدية/السردية) لرواية (زقاق المدق) لـــــــ: (نجيب محفوظ)؛ إذ نمثّل لذلك بمقولات – على سبيل الذكر لا الحصر– ؛ وبيان ذلك الآتي:

– «لما كان عدد المواقف المناجاتية بلغت أربعين موقفا على الأقلّ في هذا النّص، فإنّنا سنجتزئ بالاستشهاد بجملة قليلة من هذه المجازات المناجاتية)).

– «من المواقف المناجاتية المبكّرة من هذا النّص السردي ما نجده لدى سنّية عفيفي، وقد نظرت إلى مرآتها لتفحص وجهها بعين ناقدة، ونظرة نافذة)).

في ختام هذه القراءة المصطلحية لمصطلح (المناجاة) الذي جعله الناقد (عبد الملك مرتاض) مقابلا للمصطلح الأجنبي (Monologue)؛ فإنّنا خلصنا إلى أن هذا التبني المصطلحي من لدن الناقد لا يمثل قطيعة مع تلكم الاجتهادات النقدية العربية، ولا إجحافا لمسعاهم في إيجاد المصطلح العربي المعادل لنظيره الأجنبي الوافد؛ حيث سعوا إلى توليد مقابلات عديدة لهذا المصطلح الدخيل وفق آليات اصطلاحية متنوعة، كانت أبرزها : الترجمة والتعريب.

بذلك فإن التأصيل النقدي للمصطلح عند (عبد الملك مرتاض) كان وفق عطاءات المدونة المعجمية العربية، التي طالما تشدق بها الناقد ، وناوئ من سعى إلى خرابها أو التنغيص من أثيرية دوالها وغزارة مدلولاتها .

ب/ (النجوى):

تبنّى الناقد (عبد الملك مرتاض) كذلك مصطلح (النجوى) كقابل عربي للمصطلح الأجنبي (monologue intérieur)، الذي ورد ذكره تحت عنوان فرعي أسماه بـــــــ(اصطناع النجوى)؛ إذ يقول: «نقصد بالنجوى إلى ما يشيع في مصطلحات النقد الروائي تحت عبارة: "المونولوج الداخلي". والنجوى إنّما هي عبارة عن حديث داخلي، ذاتي كقول الزهّاد: فلان يناجي ربّه، فالنجوى هنا ليست ضرورة أن تكون خطابا بصوت خافت، وإنّما هي أيضا حديث النّفس للنّفس، وذاك ما قصدنا إليه نحن هنا من وراء استخدام هذا المصطلح الّذي كلّف النّقاد المعاصرون بترجمته من اللغات الغربية كما هو، بدون نبش معاني العربية القديمة لإمدادهم ببعض ما يبتغون))[32].

أمّا بخصوص المقاطع النّصية[**] التي استخدم فيها الناقد مصطلح (النجوى) فإنّها تتلخص في الآتي:

1– «تصادفنا عبارة يمكن أن تنتمي خطابيا إلى بعض ما نحن فيه من حيث النجوى)).

2– «السارد يصرّح تصريحا بأنّ القول كان في النّفس للنفس(...) والحديث إذن كان صراحة نجوى)).

3– «من الواضح أنّ اصطناع النجوى تقنية لا يعوّضها أي شكل آخر من أشكال السرد)).

4–« القول للنّفس هنا من صميم حديث النجوى)).

5– «من أجل ذلك ألفيناها تصطنع عبارة "فقلت في نفسي"، وهو يندرج ضمن النجوى)).

6– «السارد العربي كان يصطنع قرينة من أجل الايحاء إلى المتلقي بأنّ هذا الحديث حديث نفس داخلي (...) ما يدلّ على نجوانية الكلام ضمن الخطاب السردي)) [33].

جـــــ/ المناجاة الذاتية:

يقترح الناقد في كتابه (في نظرية الرواية) مصطلح (المناجاة الذاتية) ليجعلـــه (مقـــابلا /معـــادلا) مصـــطلحيا للمصطلح الأجنبي المركّب من مفردتين (le monologue intérieur)؛ حيث ذكر ترجمته لهذا المصطلح الوافد فـــي سياق حديثه عن الرواية الأمريكية الجديدة، وهذا ما يجلّيه قوله: «وتلك المدرسة نفسها هي التي أفضت إلى إنشاء تقنية "المناجاة الذاتية"، وهذا المصطلح المعرّب من اقتراحنا، وهو ما يعرف باللغة الفرنسية تحت مصطلح le monologue (intérieur)))[34].

ورد ذكر مصطلح (المناجاة الذاتية) في سياق حديث الناقد عن الشخصية الروائية، وبيان ذلك قوله: «لـــم تكـــن الشخصية في الرواية، إلا عنصرا من العناصر الشكلية والتقنية معا للغة الروائية؛ مثلها في ذلك، مثل الوصف، والسرد والمناجاة الذاتية))[35].

يتكرر مصطلح (المناجاة الذاتية) في الكتاب ذاته – وتحديدا في مبحث الدلالة الزمنية–؛ إذ يطالعنا قوله الآتـــي: «إنّ الزمن في في حكايات ألف ليلة وليلة مجرد أداة تقنيّة تظاهر السارد على بناء الحكاية فهو مثله مثل السرد، واللغة، والحدث والشخصية، والمناجاة الذاتية))[36].

كلفتة نقديّة مهمة –في هذا السياق– فإنّنا ألفينا الناقد (عبد الملك مرتاض) معترضا علـــى مســـمّى اصـــطلاحي مركّب والمتمثّل في مصطلح (المناجاة الداخلية)؛ حيث لم يتقبّل مسألة إدراج صفة الداخلية لـــــ(المناجاة)؛ مادام أنّهـــا مضمّنة فيه وبالتالي فإنّ ترجمة المصطلح الأجنبي (monologue interior) بـــ(المناجاة الداخلية) ترجمة لا تركح على قاعدة (السلامة/الصحّة) في شقيها (اللغوي/ المفهومي)؛ حيث يقول في هذا الشأن:« وصف المناجاة بـــ"الداخلية"، من باب الترجمة الحرفية للمصطلح الغربي، لا يستقيم هو أيضا طالما كانت المناجاة في العربية تعني حـــديثا داخليـــا أصلا، أو حديث النّفس على حدّ تعبير الزمخشري؛ أي أنّ "المناجاة" فـــي العربيـــة تجتـــزئ بنفســـها فتســـتغني عـــن الوصف))[37].

في حين أنّنا نلفي الناقد (سهيل إدريس) مترجما مصطلح (monologue interior) بـــ (المحاورة الداخليـــة)؛ حيث أبان عن ذلك قوله: «وكلّ هذه من مقومات الجوّ النفسي (المحاورة الداخلية)))[38].

أمّا بما يختص بترجمة المصطلح في صيغته المركّبة؛ –ونقصد (le monologue intérieur) – فـــإنّ الناقـــد (عبد الملك مرتاض) قد أصّل له أركيولوجيا عبر قوله:«لقد أخذ الغربيون مصطلح (le monologue intérieur) من مقطعين علمانيّين (Mono) ، ويعني في الاغريقية: واحدا أو وحيدا أو فريدا، و(Logo) وهو مقطع علمـــاني يعنـــي ((عقلا)) أو ((تفكيرا)) أو ((خطابا))))[39].

د/ مونولوج:

إنّ الكشف عن آلية تعريب مصطلح (Monologue) عند (عبد الملك مرتاض) يجعلنا نقف عند مثـــالين لـــه؛ الأول منهما في (معجم المصطلحات الأدبية) لـــ (بول آرون وآخرون)؛ والآخر ما جاء في كتاب (الزمن في الروايـــة العربية) لـــ (مها حسن القصراوي).

أمّا وروده في هذا المعجم فقد جاء عبر الرسم اللغوي الآتي (مونولوج)؛ وهذا ما دلّ عليه المحـــدّد التعريفـــي الآتي: ((يستخدم المونولوج في الأدب للتعبير عمّا هو غير معروف من التفكير الداخلي))[40].

تستقر الناقدة (مها حسن القصراوي) في كتابها: (الزمن في الرواية العربية) على مصطلح (المونولوج)؛ حيـــث تواتر ذكره في سياقات نصيّة عدة[***]، نذكر منها –على سبيل الذكر لا الحصر– مثلا:

1/ «إنّ المونولوج هو تحليل الذات من خلال حوار الشخصية معها)).

2/ «إنّ المونولوج قد يأتي بشكل مباشر على لسان الشخصية ذاتها)).

3/ «المونولوج عادة ما يأتي بصورة استفهام أو تعجب)).

على الرغم من تبنّي الناقدة لمصطلح (المونولوج)؛ فإنّنا نجدها تفصح عن دال مصطلحي معادل له، والمتمثّل في مصطلح (الحوار الداخلي)، الذي ورد في سياق تعريفها لـــ(المونولوج)، الذي يعدّ عندها ((نوعا آخر من أنواع الحوار، ولكنّه حوار داخلي))[41].

أمّا بخصوص المؤطر المفهومي لمصطلح (المونولوج) عندها، فإنّه يتلخص في قولها: ((إنّ المونولوج هو تحليل الذات من خلال حوار الشخصية معها، فتتوقف حركة زمن السرد الحاضر، لتنطلق حركة الزمن النفسي في اتجاهات مختلفة. ويعبّر المونولوج عن مشاعر الشخصية وتأمّلاتها، إذ ينثال الكلام بصورة عفوية ليعبّر عن تجربة البطل النفسية الداخلية تعبيرا شعوريا دون اعتبار لتسلسل الزمن الخارجي))[42].

أمّا عن تمظهرات هذا المصطلح الأجنبي في الثوب المعرّب –إن جاز التوصيف– عند الناقد (عبد الملك مرتاض)؛ فإنّه يمكن القول إنّ تبنّي (عبد الملك مرتاض) لمصطلح (المناجاة) وغيرها كبديل مصطلحي عربي للمفردة الأجنبية الوافدة لا يعني خلوّ الكلمة المصطلحية المعرّبة عنده؛ إذ نلفيه في سياقات نصّية مستبدلا إيّاها –أي المناجاة– بمصطلح (مونولوج) –باعتباره دالا معرّبا–، وهذا ما أفصح عنه قائلا: «يتكرّر هذا الموقف المعادي في مونولوج يجري بخلد سليم علوان وهو يتفكّر في عباس الحلو الفقير))[43].

وكذلك قوله: «بقي الصوت الذي يصفه النّص بأنّه خشن غليظ لا يرتاح الذوق لسماعه. ويجري بعض وصفه على لسان أمّها في مونولوج))[44].

في ختام هذه القراءة (النقدية/المصطلحية) التي خصّصت لمصطلح (Monologue) عند الناقد (عبد الملك مرتاض)؛ والذي اجتهدنا عبرها في التنقيب على ترجماته العدّة عنده، فإنّنا نخلص إلى نتائج نبسطها كالآتي:

– اجتهاد الناقد (عبد الملك مرتاض) في تفعيل الدرس الاصطلاحي عبر تثبيت بدائل مصطلحية عدّة للمصطلح السردي الأجنبي (Monologue inérieur).

– المعالجة النقدية المصطلحية عند الناقد تتّسم بالعمق والقراءة المتبصّرة؛ ذاك أنّه يعمد إلى أركيولوجيا المصطلح قصد تجلية مفاهيمه الأولى؛ ثمّ تأطيره (مفهوميا/تعريفيا/مصطلحيا).

– اهتمام الناقد (عبد الملك مرتاض) بهذا المصطلح السردي الوافد؛ واسهامه المميّز في ترجمته عبر دوال مفرداتية عدّة في أغلب مدوناته النقدية، وكذا تنوّع مفاهيمها فيها لشيئ مهم ومميّز عندنا؛ لكن هذا لا يعني البتّة خلوّ قراءاته النقدية من الإضطراب والتوتّر؛ إذ نلفي ذلك جليّا في تتعدّد المصطلح في المدوّنة النصّية الواحدة؛ ولربّما في السياق النصّي ذاته؛ وهذا ما يؤزم إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي عموما؛ وداخل الخطاب المرتاضي تخصيصا وتحديدا.

مكتبة البحث

(1) يوسف مقران، المصطلح اللساني المترجم، دار ومؤسسة رسلان، دمشق، سوريا، ط1، 2007، ص59.
(2) عزت محمد جاد، نظرية المصطلح النقدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (دط)، 2002، ص ص44-45.
(3) المرجع نفسه، ص45.
(4) سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1985، ص205.
(5) المرجع نفسه، ص ص205 – 206.
(6) المرجع نفسه، ص209.
(7) Dominique maingueneau, les termes clés de l'analyse du discours ,Audin,Paris,1996 .p57
(8) ميلان كونديرا، فن الرواية، تر: بدر الدين عرودكي، الأهالي للطبع والنشر، دمشق،سوريا، ط1 : 1999. ص34
(9) تيسير محمد الزيادات، توظيف القصيدة العربية المعاصرة لتقنيات الفنون الأخرى، دار البداية، عمان، الأردن، ط1، 2010 ص150.
(10) بول ريكور، إشكاليات الترجمة، تر: عبد الرحمان مزيان، دار الألمعية، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2014، ص15.
(11) المرجع نفسه، ص17.
(12) محمد صابر عبيد، تجلّي الخطاب النقدي: من النظرية إلى الممارسة، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، 2013 ص133.
(13) في نظرية الرواية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (دط)، 1998، ص9.
(14) عبد الملك مرتاض، شعرية القصّ وسيميائية النص: تحليل مجهري لمجموعة "تفاحة الدخول إلى الجنة، دار البصائر، باب الزوار، الجزائر (د.ط)، (د.ت)،ص75.
(15) عبد السلام المسدي، المصطلح النقدي، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، تونس، (دط)، 1994، ص105.
(16) يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1 2008، ص85.
(17) محمد عابد الجابري، حفريات في المصطلح: مقاربات أولية، مجلة المناظرة، الرباط، المغرب،ع6، 1993، ص22.
(18) علي القاسمي، لماذا أهمل المصطلح التراثي، مجلة المناظرة، الرباط، المغرب، ع6، 1993، ص35.
(19) علي القاسمي، لماذا أهمل المصطلح التراثي، ص36.
(20) ممدوح محمد خسارة، المعاجم اللغوية وأهميتها في وضع المصطلحات – معجم لسان العرب انموذجا، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق سوريا، مج 28، (ت)، ج3، ص710.
(21) عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص120.
(22) بول ريكور، نظرية التأويل : الخطاب وفائض المعنى ، تر : سعيد الغانمي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط2 ، 2006 ص42.
(23) عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، ص210.
(24) المرجع نفسه، ص211.
(25) عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص60.
(26) عبد الملك مرتاض ، تحليل الخطاب السردي، ص120.
(27) المرجع نفسه، ص119.
(28) عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص120.
(29) المرجع نفسه، ص118.
(30) عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، ص211.
(31) المرجع نفسه، ص211

(*) المرجع نفسه، ص ص212-213.

(32) عبد الملك مرتاض، ألف ليلة وليلة: تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد ، ص91.

(**)المرجع نفسه، ص ص92-93.

(33) عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، ص93.

(34) عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص39.

(35) المرجع نفسه، ص37.

(36) عبد الملك مرتاض، ألف ليلة وليلة: تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد، ص163.

(37) عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، ص211.

(38) صبري موسى حمادي، المصطلح النقدي في الخطاب السردي العراقي، مجلة القادسية، العراق، مج9، ع2، 2010، ص8.

(39) عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، ص210.

(40) بول آرون وآخرون، معجم المصطلحات الأدبية، تر: محمد حمود، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1 2012، ص1110.

(***) مها حسن القصراوي، الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص244 وما بعدها.

(41) المرجع نفسه، ص244.

(42) المرجع نفسه، ص244.

(43) عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، ص40.

(44) المرجع نفسه، 148.